المجتمع السوى (لأريك فروم)

بقلم الدكتور عزت حجازى

مقدمة :

ولد ايريك فروم Eric Fromm فى المانيا فى سنة ١٩٠٠ ، ودرس فى جامعتى هايدلبرج وميونخ • ثم عمل محللا فى معهد التحليل النفسى فى برلين ، كما درس وحاضر فى معهد التحليل النفسى ومعهد البحوث الاجتماعية فى فرانكفورت.

وفى سنة ١٩٣٠ ، هاجر ايريك فروم الى الولايات المتحدة الامريكية فرارا من اضطهاد النازيين ، على أمل ان يجد الحرية التى لم تتوافر له والاشباع الذى حرم منه والامان الذى لم ينعم به • وفى العالم الجديد ، حاضر فروم فى بعض جامعات الولايات المتحدة الامريكية والمكسيك والف كتبه التى جعلت منه واحد من مفكرى العصر الجادين• وأهمها «فن الحب» The art of loving

« والخوف من الحرية » Fear from Freedom

« والانسان لنفسه » Man for Himself

و « المجتمع السوى » The Sane Society

م « هل يسود الانسان » ? May Man Prevail

ولكن يبدو ان هجرته لم تحقق له ما بنى عليها من آمال اذا انحسرت موجة المد الليبرالى فى الفكر الامريكى فى الثلاثينات فتحول الى فكر رجعى ، وعاش فروم ، كيهودى ليبرالى ، هامشيا الى حد بعيد •

وتشير كتابات فروم بوضوح الى جو الازمة الذى عاش وكتب فيه ، والفوضى الحضارية التى أدت الى حربين عالميتين فى ربع قرن ، والدمار الذى تسببنا فيه والضياع الذى ادتا اليه ، وتسلط الاقليات الحاكمة على الاغلبيات المحكومة، مما ادى الى اجهاض عديد من حركات التغير الاجتماعى التقدمية ، وخيبة الأمل التى نتجت من اخفاق التقدم التكنولوجى فى تحقيق الرفاهية الاجتماعية، واسهامه ، على العكس تماما ، فى تمكين اصحاب رأس المال من استغلال جماهير الشعب فى كل مجتمع • ويشيع فى كتابات فروم اعتقاد بان ظروف الحياة فى الحضارة الغربية من شأنها ان تفسد فى الانسان كل ما هو نبيل ، وانه لا بد من عمل شىء لتغيير الوضع

كل هذه العوامل ـ وغيرها ـ هى التى جعلت فروم من اشهر النقاد الاجتماعيين المعاصرين . ولكن الذى يجعله واحدا من اهمهم هو شمول نظرته التقدمية وعمقها فى الوقت نفسه . اذ يتميز فروم بموسوعية نادرة فى عصر التخصص الدقيق، فهو لا يؤمن بحدود فاصلة حاسمة بين العلوم المختلفة ولا بين العلوم والفلسفة ، ولهذا تمتد كتاباته من علم النفس الى علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، الى الفلسفة والاخلاق .

ويرى فروم ـ كما يرى ماركس ، أحد مصادره الهامة ـ انه لا يكفى ان يفسر العلم والفلسفة العالم ، بل يجب ان يساعدا فى تغييره. ومن هنا كان اهتمامه بتشخيص ادواء المجتمع وجهوده لتقديم حلول لها .

وتنقسم كتابات فروم، كما ينقسم كتابه موضوع هذه الدراسة ، « المجتمع السوى » ، The Sane Society, London : Routledge and Kegan Paul Ltd., 1956. الى ثلاثة اقسام ، اولها تحليله للطبيعة الانسانية ، والثانى تفسيره التاريخى لأزمة الحضارة الغربية ، والثالث مقترحاته لحل الأزمة .

وكتاب « المجتمع السوى » ، الذى ظهر فى سنة ١٩٥٥ ، استمرار وتطوير لفكر ايريك فروم ، وبخاصة افكاره التى ضمنها كتابه « الخوف من الحرية » ، وظهر فى سنة ١٩٤١ ، « والانسان لنفسه » ، وصدر فى سنة ١٩٤٧ . وموضوعها جميعا هو الابعاد المختلفة لوضع الانسان فى المجتمع المعاصر . وقد عالج فروم فى اولها مشكلة الشخصية المتسلطة وبعض الميكانزمات النفسية المرتبطة بها . وتناول فى الثانى فكرة الاتجاهات الشخصية المتعددة ، والتى استبدل فيها فكرة تطور الليبيد وعند فرويد بفكرة تطور الشخصية من خلال العلاقات مع الآخرين . وخصص الكتاب الثالث ، موضوع هذه الدراسة، لأزمة الانسان فى المجتمع الرأسمالى المعاصر . ولا يجد من يقرأ الكتب الثلاثة أية مشقة فى اكتشاف الاستمرار والاتصال بينها بالرغم مما طرأ على فكر فروم من تغير . وربما كان أهم الخطوط الفكرية التى تربط بين الكتب الثلاثة هو اعتقاد فروم فى ان النزعات الانسانية لا تأتى من حاجات غريزية وانما تنشأ عن ظروف الانسان كانسان .

ويقع كتاب «المجتمع السوى» فى تسعة فصول. يعترض فروم فى أولها على التسليم بان المجتمع الرأسمالى الغربى المعاصر مجتمع سوى ، ويناقش فى ثانيها علامات المرض فى هذا المجتمع ، ويحلل فى ثالثها ما أطلق عليه «وضع الانسان» ، ويعرض فى الرابع لمفهوم الصحة العقلية . وتعتبر هذه الفصول مقدمة لاهم فصول الكتاب ، ونعنى بها الفصل الخامس ، الذى يحلل فيه فروم وضع الانسان فى المجتمع الرأسمالى الصناعى المعاصر ، والسادس الذى يناقش فيه اعدادا من الشخصيات للأزمة ، ثم السابع ، ويناقش فيه بعض الحلول ، وأخيرا الفصل الثامن ويعرض فيه بالتفصيل للحل الذى يقترحه هو والذى اسماه « الاشتراكية التعاونية » communitarian socialism ويلخص فروم ما جاء فى الكتاب فى فصل اخير .

عرض لمادة الكتاب :

يقول ايريك فروم انه ليس ثمة فكرة اكثر شيوعا من الظن بأن الناس فى العالم الغربى فى القرن العشرين اسوياء ، وبأن مايلاحظ من وجود

عدد ضخم من الافراد غير الاسـوياء لا يشـكل ظاهرة عامة ، ومن ثم يجب ألا يثور الشك فى مستوى سواء هذا المجتمع ـ ويتسـاءل فروم : « أليس من الممكن أن يكون هذا خداعا للنفس؟ » ، ففى مجال العلاقات الدولية يشير فروم الى وقوع حروب عديدة ، ثلاث منها على نطاق واسع ، قتل فيها ملايين الناس ، خيل لكل من شارك فيها انه كان يدافع عن وجوده وشرفه ، فاستباح التدمير والتخريب بدون حدود . كما يشـير الى انه قد عقدت خلال القرون من ١٥٠٠ قبل الميلاد الى سنة ١٨٦٠ ميلادية ثمانية آلاف معاهدة صلح كان من المفروض ان تضع كل منها نهاية للحروب .

كما يلاحظ فروم أنه فى ظل « نظام السوق » فى المجتمع الرأسمالى تعتبر وفرة المحصول كارثة اقتصادية ، وانه كثيرا ما يحدث تدخل للحد من الانتاج ضمانا « لاستقرار السوق » بالرغم من ان ملايين الناس فى حاجة الى فائض الانتاج هذا . ويشير الى ان الرخـاء الاقتصـادى ، فى المجتمع الامريكى بصفة خاصة ، يرجع فى المحل الاول الى العائد من انتاج أسلحة الدمار .

وبالنسبة للثقافة وأدواتها ، يوضح فروم انه فى الوقت الذى يوجـد فيه لدى الانسـان وقت فراغ كبير نسبيا ، فان وسـائل الاعلام المختلفـة لا يهمها ان ترتقى بثقافة الناس واذواقهم بقـدر ما يهمهـا ان تروج للمنتجـات التى لا يتـوقف ظهـورها ، والتى يسـتغل الانسـان فيها ابشـع استغلال .

ثم يتساءل فروم الا ينبغى أن تثير هذه الحقائق الشـكوك فى القـول بسـواء المجتمع الرأسـمالى المعاصر ، وبان المشاكل الاجتماعية انما هى مشاكل عدد محدود من الناس غير الاسـوياء ؟ وبعبـارة أخرى ، أليس من الممكن ان يكون عدم السـواء راجعا الى الحضارة نفسها ، وهو الاحتمال الذى لا يقبله علماء النفس والاطباء العقليين ؟

ثم ينتقل فروم الى مناقشة ما اسماه « مرضية السواء » The pathology of normality فيتساءل هل يمكن ان يكون المجتمع مريضا ، ثم يعرض لفكرة النسبية ، التى تسلم بأن المجتمع يكون سليما ما دام يعمـل ، وان المرض انما يرجع الى سـوء تكيف الافراد مع المجتمع . ويرفض فروم هذه الفكرة ويذهب الى ان فكرة « المجتمع السوى » تسلم بامكان وجود مجتمع مريض ، وان هذا ، بدوره ، يفترض ان ثمة معايير عامة للصحة العقلية تصدق على الجنس البشرى كله وعلى أساسها يمكن تحـديد المسـتوى الصحى لاى مجتمع ، ويطلق فروم على موقفه اسم « الانسانية المعيارية » normative humanism

وليوضح موقفه هذا ، يناقش فروم تصورين للطبيعـة الانسـانية . أولهمـا يركز على الابعـاد الفسيولوجية التشريحية ، ويذهب الى ان الناس يشتركون فى الخصـائص النفسية الاساسية وفى القوانين التى تحكم نشاطهم العقلى الانفعالى وفى أساليب حل ما يعترض طريقهم من مشـكلات . ويعتقد فروم فى ان مثل هذا التصور يلعب دورا هـاما فى تبرير وجـود النظام الرأسـمالى على اساس انه نابع من الطبيعة البشرية . وفى مقابل هذا التصور الرجعى المحافظ للطبيعة الانسانية ، يوجد تصور ليبرالى ، بدأ يظهر فى القرن التاسع عشر ، يؤكد الدور الحاسم للعـوامل البيئيـة فى تشكيل الطبيعة الانسـانية . والانسـان تبعا لهذا التصور يشكل الحياة من حوله ويتشكل بها .

وتقوم « الانسانية المعيارية » ، أى « موقف فروم » ، على التسليم بان حلول مشكلة « الوجود الانسانى » ـ كحلول اية مشكلة اخرى ـ يمكن ان تكون سوية او مرضية ، وان الصحة العقلية تتحقق حين يصل الانسان الى ارقى درجات النضج وفقا لطبيعة الانسانية وقوانين نموها ، وان المرض العقلى هو الاخفاق فى تحقيق هذا النضج • وتبعا لهذا الموقف ، فان معيار الصحة العقلية لا يكون درجة تكيف الفرد مع نظام اجتماعى ما ، وانما هو قدرة المجتمع نفسه على حل مشاكل الانسان حلا مرضيا •

ثم يرفض فروم ما اسماه « التصديق بالاتفاق الاجماعى » consensual validation والذى يبدو فى الظن بان فكرة ما تكون سليمة اذ كان كثير من الناس يعتقدون فى سلامتها ، ويترتب على هذا ان شيوع خاصية عقلية مرضية فى المجتمع لا يمكن ان يعنى بحال من الاحوال انها سوية •

وفى الفصل الثالث والمعنون « وضع الانسان » يناقش فروم وضع الجنس البشرى فى الوجود • ويؤرخ ظهور الانسان باللحظة التى ارتفع فيها جنسه عن الطبيعة ولم تعد قدرته على الفعل مقيدة بالاستعدادات الغريزية ، وتخطى دور الكائن السلبى وأصبح قادرا على التأثير فيما حوله ، ونمت فيه البصيرة ، والخيال ، وصار على وعى بذاته • مما ادى الى ضياع الانسجام بين الحيوان ـ الذى صار الانسان ـ والطبيعة •

ويقوم تطور الانسان ، فى نظر فروم ، على حقيقة هامة هى ان الانسان « فقد موطنه الاصلى ـ الطبيعة ـ وانه لا يمكن ان يعود اليه ثانية ، أى لا يمكن ان يرتد الى مجرد حيوان ، ولم يعد أمام الانسان سوى طريق واحد : ان يستقل تماما عن موطنه الام ، وان يجد وطنا جديدا من خلقه هو • مشكلة الوجود الانسانى ، اذن ، فريدة فى نوعها فالانسان قد خرج عن الطبيعة ولكنه مازال فيها • والى ضرورة التوصل الى طرق جديدة حل هذا التناقض ، والكشف عن صيغة أرقى للوحدة مع الطبيعة ومع الآخرين ومع الذات ، ترد دوافع الانسان ونوازعه ومشاعره •

وفى حين يكفى الحيوان ان تشبع حاجاته الفسيولوجية ـ الجوع والعطش والجنس ـ فان اشباع هذه الحاجات عند الانسان ليس وحده كافيا لان يجعله سعيدا بل لا يكفى ليجعله سويا ، اذ ان ثمة حاجات مكتسبة كثيرة تكتسب اهمية خاصة فى حياة الانسان ، ويكون اشباعها شرطا لسوائه •

وبعد ذلك يناقش فروم حاجات انسانية اساسية خمسا ، تمثل كل منها تناقضاً بين متضادين ، هى عنده جوهر الطبيعة البشرية • اولها الحاجة الى الارتباط بالآخرين وضدهما الميل الى التمركز حول الذات relatedness vrs narcissism فالانسان لا يقوى على احتمال الاحساس بأنه فقد ارتباطه الاول بالطبيعة ما لم يكن فى مقدوره ان يجد علاقات بديلة للعلاقات التى كانت تنظمها الغريزة • ومن هنا تأتى ضرورة ارتباطه بالآخرين ، الذى يتوقف عليها سواؤه • ويذكر فروم عدة صيغ لارتباط الانسان بالعالم والآخرين اولها الخضوع ، والثانى السيطرة ، والثالث الحب ، وهو الطريق الوحيد لارتباط الانسان بالعالم والآخرين ارتباطا سويا • ويعرف فروم الحب بانه « اتحاد الانسان مع شخص غير نفسه ، أو شىء ، بحيث يحتفظ بتميزه وكيانه » فهو مشاركة وتعاون

يسمحون للانسان بأن يحقق ذاته • وقد يكون جنسيا أو غير جنسى • والحب عند فروم هو احد أوجه ما أسماه بالاتجاه الانتاجى productive orientation اى الارتباط الابداعى بين الشخص والآخرين : الانسان والطبيعة •

وثانى الحاجات الانسانية هى تلك التى تتمثل فى التناقض بين الميل الى الابداع البناء والميل الى التدمير creativeness vrs destructiveness ويتمثل هذا فى حاجة الانسان الى ان يعلو على كونه كائنا سلبيا وان يصير خالقا • وترضى هذه النزعة باحدى طريقتين : الخلق الذى يعلو بالانسان من حالة السلبية والعرضية accidentalness and passivity الى مراتب الغرضية والحرية purposiveness and freedom • فاذا لم يستطع الانسان انيخلق الحياة فانه يتجه الى تحطيمها •

أما الحاجة الثالثة فهى تلك التى تبدو فىالتضاد بين الميل الى التعلق بالمحارم وضرورة الاستقلال عنها brotherliness vrs incest تمثل الام بالنسبة للطفل فى السنوات الأولى من عمره ، وهى سنوات حاسمة ، نبع الحياة : فهى الغذاء ، وهى الحب ، وهى الدفء • وحبها له يبعث فيه احساسا بانه حى ، وانه يرتبط بالحياة • وبالرغم من انمعنى الام بالنسبة للبالغ يختلف بعضالشىء عنه بالنسبة للطفل• فانها تظل دائما مصدر الرعاية والدفء والحياة ، ويظل هذا الشعور تجاه الأم فى البالغ ، ولكنه يختلف من السوى المتعقل الى المرضى الذى يتمثل فى تثبيت النزعات الطفلية فى مراحل متأخرة • وقد يتغير موضوع الارتباط فيكون الاسرة او العشيرة او البلد او الامة أو العقيدة بدلا من الام • وهنا يختلف فروم مع فرويد حول فكرة التحريم التى اعتبرها المشكلة الحاسمة فى تطور الفرد والجنس البشرى ، ففى حين يقصر فرويد مضمونها على الجنس يمده فروم لتشمل مدلولات اجتماعية وسياسية •

ويربط فروم علاقة الانسان بالطبيعة بنشاطه الاقتصادى • فقد بدأ الانسان حياته جامع للطعام وصائدا ولم يكن يميزه عن ارقى الحيوانات دونه سوى ادواته وقدرته علىاستخدام النار• وتدريجيا تعددت مهاراته ، ثم تحولت علاقته بالطبيعة من السلبية الى الايجابية باستئناس الحيوان والزراعة وزيادة قدرته على تشكيل المواد الخام ، ثم تبادل ما ينتجه مع غيره واصبح تاجرا ورحالة •

كما يربط فروم بين هذه التحولات الهامة وتغير آلهة الانسان • ففى البدء كانت آلهته جزءا من الطبيعة ، ثم اصبحت اصناما من حجر او خشب ، ثم صارت آلهة فى صورة الآدميين وأخذ الرب صورة « الأم الكبرى » التى تحمى من كل شىء وتطعم فى كل حين • وكانت النقلة الحاسمة فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد بظهور ديانة اخناتون فى مصر القديمة ثم الموسوية والمسيحية فى فلسطين وكذلك الديانات الشرقية : البوذية والهندوكية وغيرها (ثم الاسلام) • وفى كلهذه الديانات يوجد فصل واضح بين الحيوانوالانسان، ويضحى بالحيوان من اجل الرب •

أما الحاجة الانسانية الاساسية الرابعة فى رأى فروم فهى التى تظهر فى التضاد بين التفرد والمسايرة individuality vrs comformity لعل من اخص خصائص الانسان انه الحيوان الذىيستطيع ان يعى ذاته ، وهو تصور يتوقف على درجة استقلال الانسان عن غيره وعلى تفرده • وبالرغم

من ان الحضارة الغربية اتجهت فى وقت ما نحو تدعيم الفردية فقد توقف هذا التطور نتيجة للضغط الاجتماعى على الفرد ليساير الجماعة •

والحاجة الانسانية الخامسة هى التى تبدو فى حاجة الانسان الى اطار للتوجيه وللتكريس وتتمثل فى التضاد بين العقل واللاعقلانية reason vrs irrationality ، اذ يجد الانسان نفسه وسط ظواهر مختلفة تنطوى على بدائل متعددة ، وهو فى حاجة الى معيار رشيد للتعامل معها يكون بدونه عرضة للشك ، وعدم القدرة على الحسم ، والضياع •

وفى الفصل الرابع ، والاخير من الفصول التمهيدية ، يناقش فروم مفهوم الصحة العقلية فى علاقته بالمجتمع ، ويذهب الى ان الصحة العقلية ترتبط اصلا بالنزعات والحاجات الانسانية التى تنشأ من وضع الانسان كانسان ، وهى تلك التى تحدثنا عنها فى الفقرات السابقة ، وانه فى تلك النزعات، وليس فى فكرة الليبدو كما يرى فرويد ، يوجد المفتاح الى الصحة العقلية • فاذا لم تشبع كل هذه الحاجات اختلت الصحة العقلية واذا اشبعت بدرجة غير كافية نشأ العصاب • وتتميز الصحة العقلية فى نظر فروم « بالقدرة على الحب والخلق والتحرر من الارتباط البدائى بالمحارم incestious ties وبالعشيرة والارض ، والاحساس بالذات القائم على اساس حرية الفرد ، والتوصل الى فهم حقيقة ذواتنا وحقيقة العالم من حولنا •

وأهم ما يميز تصور اريك فروم لمفهوم الصحة العقلية هو انه موضوعى ومطلق ، وليس نسبيا ، ومن الممكن استخلاصه من دراسة وضع الانسان والحاجات التى تنشأ عنه • ومن ثم فان الصحة العقلية فى نظر فروم « لا تقاس بدرجة تكيف الفرد مع المجتمع » ، بل على العكس من ذلك « بدرجة ملاءمة الاوضاع الاجتماعية لاشباع الحاجات الانسانية » • وكون الفرد سويا أو غير سوى هى فى المحل الاول ليس مجرد امر يرجع اليه هو ، بل يتوقف على ظروف المجتمع • « فالمجتمع السوى هو ذلك الذى يدعم قدرة الانسان على ان يحب الناس ، وان يعمل ويبدع ، وان ينمى بصيرته وموضوعيته ، وان يشعر بذاته من واقع خبرته بقواه الانتاجية • والمجتمع غير السوى هو « ذلك الذى ينبت الكراهية المتبادلة بين الناس وعدم الثقة ، ويحول الانسان الى اداة يستغلها الآخرون ، ويجرد الانسان من الشعور بذاته الا بقدر خضوعه للآخرين • وتختلف المجتمعات فى درجة قدرتها على تحقيق الصحة العقلية لافرادها أو تعويق تحقيقها •

وكما تختلف نظرة فروم الى الصحة العقلية كمفهوم موضوعى وعام عن النظرة النسبية relativistic اليها ، فانها تختلف عن نظرتين تشيعان الآن ، تذهب أولاهما الى ان المجتمع الغربى المعاصر، والمجتمع الامريكى بصفة خاصة، يرتبط بأهم الحاجات الانسانية ، وبأن الصحة العقلية والنضج (بالنسبة للفرد) يقاسان بدرجة التكيف معه • اما النظرة الاخرى فهى تلك التى شاعت بين المفكرين من هوبز حتى فرويد ، والتى ترى ان ثمة تناقضا اساسيا لا يمكن تعديله بين الطبيعة الانسانية والمجتمع ، وهو تناقض يأتى فى نظرهم من طبيعة الانسان اللاجتماعية ، ومن ميله الى اشباع حاجاته البدائية دون حدود ، وميله الى النفور من السلطة • ويرتب هؤلاء المفكرون على هذه المقدمات نتائج كثيرة أهمها ان التنافس

خصلة انسانية أساسية ، وان الصراع من أجل البقاء ضرورة يقتضيها وجوده ، مما يؤدى بدوره الى الاعتقاد فى ان الرأسمالية هى « النظام الطبيعى » ، أى الانسب لارضاء حاجات الانسان ونزعاته .

وفى الفصل الخامس ، وهو من أهم فصول الكتاب فى نظرنا ، يحلل ايريك فروم ، فى تعمق واضح وبصيرة نافذة ، وضع الانسان فى المجتمع الرأسمالى . ويبدأ فروم بمقدمة هامة يقرر فيها انه لا سبيل الى مناقشة حالة الصحة العقلية للانسان الغربى المعاصر ، والكشف عن عوامل سوائه ومرضه، بدون دراسة تأثير ظروف علاقات الانتاج والنظام الاجتماعى والسياسى على شخصية الانسان ، او مايسميه الشخصية الاجتماعية social character . ويعنى بها « جوانب الشخصية التى يشترك فيها معظم أفراد حضارة معينة ، وهى بهذا نقيض « الشخصية الفردية » ، وهى « الملامح الفردية التى يتميز بها أفراد حضارة ما ، الواحد من الآخرين » .

ويذهب فروم الى اننا لا يمكن أن نفهم الشخصية الاجتماعية بتحليلها فى ضوء عامل واحد ، وانما بردها الى تفاعل عدد من العوامل : مثل علاقات الانتاج والنظام الاجتماعى والسياسى، والتغيرات النفسية وغيرها . ومن بين العوامل التى تؤثر فى الشخصية ، تلعب العوامل الاقتصادية دورا بارزا . ولا يقصد فروم بها الدافع الى الكسب المادى بل الحرص على البقاء الذى يستتبع نشاطا اقتصاديا .

ثم ينتقل فروم الى مناقشة الظروف الاجتماعية الاقتصادية فى المجتمع الصناعى الحديث التى تشكل شخصية الانسان الغربى المعاصر ، والتى يرجع اليها اضطراب صحته العقلية . وفى رأيه ان ذلك يتطلب مناقشة طبيعة ونظام الانتاج الرأسمالى . ويذكر فروم من خصائص النظام الرأسمالى :

١ ـ الحرية السياسية والقانونية .

٢ ـ بيع الناس (العمال والمستخدمين) عملهم لصاحب رأس المال عن طريق تعاقد .

٣ ـ وجود سوق السلع كميكانيزم تتحدد بواسطته الاسعار .

٤ ـ الاعتقاد بأن كل شخص يتصرف بهدف تحقيق الربح لنفسه وبأن المنافسة تتضمن تحقيق اكبر كسب للمجتمع .

وتتميز رأسمالية القرنين السابع عشر والثامن عشر فى نظر فروم بخاصتين ، أولاهما ان التكنولوجيا كانت بدائية ، اذا قيست بما حدث فى القرنين الاخيرين ، والاخرى انه كان ما يزال لقيم العصور الوسطى وأفكارها تأثير على النظام الاقتصادى ، وكان ثمة عداء شديد للتقدم التكنولوجى وخوف منه كما كان هناك ايمان بان المجتمع انما وجد لخدمة الانسان وليس العكس .

اما رأسمالية القرن التاسع عشر فان أهم ما يميزها فى نظره هو استغلال صاحب رأس المال للعامل بدون حدود . وهذا يعنى ان الانسان فقد وزنه فى معادلة الانتاج ، فلم يعد الانتاج من أجله وانما ضحى به هو من أجل الكسب . وتحول النظام الذى يقوم على المنافسة الى وضع اشبه بنظام الغابة . وتخلص « نظام السوق » من كل الضوابط التى كانت تنظمه فى القرنين السابقين .

ولقد ادى تطبيق « نظام السوق » الذى يقوم على تنافس افراد عديدين يرغبون فى بيع منتجاتهم من السلع والخدمات او القدرة على العمل الى انتشار روح المنافسة خارج نطاق السوق بمعناه التقليدى والى ضعف الضوابط التقليدية لهذا النظام • وتطور مفهوم الربح فى عملية الانتاج من اداة لتحقيق انتاج ذى قيمة اجتماعية الى هدف فى حد ذاته ، يضحى من أجله بأهم المصالح الاجتماعية •

وأخطر من هذا ، فى نظر فروم ، ان الدخل لم يعد ناتج مجهود شخصى بالضرورة ، اذ أصبح بوسع صاحب العمل (رأس المال) ان يكسب دون أن يعمل • وبالرغم مما قيل فى تبرير هذا الوضع ، وبخاصة ان الربح تبرره المخاطرة التى يقدم عليها صاحب رأس المال وبالتقشف الذى يتطلبه الادخار ، فان ذلك لا يغير من الحقيقة الهامة وهى ان الكسب بدون عمل اصبح امرا ممكنا • وهنا تكمن اهم خصائص النظام الرأسمالى وهى عدم وجود تعادل بين جهد الفرد وبين تقدير المجتمع ماليا له •

ومن رأى فروم ان تحلل الضوابط التقليديه للعلاقات الاجتماعية فى القرن التاسع عشر قد ادى الى صور جديدة من الاستغلال ففى حين كان يقابل استغلال الاقطاعى لعبده التزامه الادبى برعايته ، اصبح استغلال صاحب رأس المال للعامل لا تقابله اية التزامات •

وقد يعترض على هذا ، كما يقول فروم ، بان الانسان حر فى ان يقبل عقد العمل وان يرفضه ، ومن ثم فهو يشارك عن اختيار فى علاقته بصاحب رأس المال • ولكن هذا الاعتراض يغفل حقيقة هامة هى ان العامل فى ظل الظروف الاجتماعية الرأسمالية لا يملك الا أن يقبل معظم الشروط التى يضعها صاحب رأس المال • كما قد يعترض بان الحياة الاجتماعية تتطلب قدرا من التعاون والنظام ، مما يفرض على الافراد مسئوليات ضرورية ، ومثل هذا القول يغفل انه لا اعتراض على مبدأ التعاون والتكافل بل على استغلال الانسان للانسان •

وبعبارة موجزة كانت اهم خصائص الشخصية الاجتماعية فى القرن التاسع عشر حب المنافسة والامتلاك والاستغلال ، والتسلط والعدوانية ، والفردية •• وقد نتجت عن الميول الاستغلالية والامتلاكية آلام مبرحة للجنس البشرى: استغلال لا حد له للانسان الاوروبى واستعباد للانسان فى القارات الاخرى •

ومن القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين طرأت على التكنولوجيا الصناعية والنظام الاقتصادى والتركيب الاجتماعى ، كما يرى فروم ، تغيرات ضرورية هامة • ولم تكن التغيرات التى طرأت على شخصية الانسان بأقل جذرية ولا أهمية • وربما كان أهم تغير هو التغير التكنولوجى ـ التوسع فى استعمال الآلات البخارية ، واستعمال آلة الاحتراق الداخلى ، ثم استعمال الكهرباء ، وبداية استعمال الطاقة النووية • وكان من ابرز علامات هذا التغير ونتائجه احلال الآلة محل العمل اليدوى : ففى سنة ١٨٥٠ كان ١٥٪ من القوى المحركة تأتى من الانسان ، ٧٩٪ من الحيوان ، ٦٪ من الآلة وفى سنة ١٩٦٠ أصبحت النسب ٣٪ ، و ١٪ ، و ٩٦٪ على التوالى •

وينتج عن التغير التكنولوجى فى شكل الانتاج تركيز متزايد لرأس المال . فثمة تناقص مستمر فى عدد المشروعات الصغيرة ، وأهميتها ، يقابله تزايد مطرد فى عدد المشروعات الضخمة وأهميتها. ولهذا التطور اثار اقتصادية وسياسية واجتماعية فى غاية الاهمية. ومن جهة أخرى قل عدد الذين يعملون لانفسهم . ففى بداية القرن التاسع عشر كان ما يقرب من أربعة اخماس القوى العاملة تدخل فى هذه الفئة . وقد هبطت النسبة الى ربع القوى العاملة فى سنة ١٩٤٠ أى انها تناقصت الى ربع حجمها فى حوالى قرن . وقد صاحب زيادة أهمية المشروعات الضخمة ، تزايد الفصل بين الملكية والادارة ، فلم تعد ادارة المشروعات الكبرى هى نفسها التى تملك رأس المال .

ومن التطورات الهامة التى حدثت ايضا تزايد اهمية السوق المحلى . فقد صار اساس نظام الاقتصاد الرأسمالى الانتاج على أوسع نطاق ممكن mass production والاستهلاك بالصورة نفسها mass consumption وفى حين كان الادخار فضيلة فى القرن التاسع عشر ، اصبح الشائع المقبول هو الاستهلاك بدون حدود ، حتى بدون ان توجد القدرة على الشراء .

ويمضى فروم فى تحليل التغيرات التى طرأت على المجتمع الرأسمالى الغربى ، والامريكى بصفة خاصة ، فى فترة نصف القرن الاخيرة فيلاحظ تزايد مستوى الرشد ، أو العقلانية rationality واحلال نظام التعاقد محل التقاليد الأجتماعية . وكان من نتائج التقدم التكنولوجى فى مجال الانتاج ان اصبح لدى الانسان طاقة تزيد آلاف المرات على حجم الطاقة التى كانت لديه من قبل. فتحقق للانسان من الابتكارات والاكتشافات المعجزة ما كان انسان القرن الماضى يظنه خيالا .

ويتساءل فروم عن أى نوع من الناس يحتاج المجتمع الحديث . أو بعبارة أخرى عن طبيعة « الشخصية الاجتماعية » التى تتلاءم مع النظام الرأسمالى فى صورته الراهنة . ويرد بانه « الشخص الذى يستطيع ان يعمل بنجاح فى جماعات كبيرة ، الشخص الذى يريد ان يستهلك اكثر واكثر ، والذى يساير ذوقه قيما منمطة ، ويمكن التأثير فيه بسهولة ، هو الانسان الذى يشعر بانه حر لا يخضع لأية سلطة ولكنه على استعداد لأن يأتمر وان يفعل ما يطلب منه وان ينسجم مع الآخرين بدون مشكلات .

وينتقل فروم الى تحليل التغيرات التى طرأت على «الشخصية الاجتماعية» فى فترة القرن ونصف القرن الاخيرة . وقد اختار فروم فكرة الاغتراب alienation محورا لهذا التحليل لسببين ، أولهما ان هذا المفهوم ، فيما يبدو ، يشير الى أعمق أعماق « الشخصية الحديثة » ، والآخر انه أنسب مفهوم لتحليل التفاعل بين النظام الاقتصادى الاجتماعى المعاصر (الرأسمالى) وشخصية الفرد العادى .

ويمهد فروم لهذا التحليل بمناقشة واحد من أهم ملامح النظام الرأسمالى فى نظره ، ويعنى به الميل الى التكميم quantification والتجريد abstratification فيلاحظ أن الحرفى artisan فى العصور الوسطى كان ينتج لعدد محدود ومعروف من المستهلكين ، وكان يحدد اسعاره على أساس يسمح له بربح يمكنه من أن يعيش فى مستوى معقول بالنسبة لمستواه الاجتماعى ،

وكانت لديه دراية بتكاليف الانتاج ، واذا اضطر الى ان يستعين بمن يساعده ، فلم يكن فى حاجة الى امساك دفاتر ولا التزام بميزانيات • والشىء نفسه يمكن أن يقال عن انتاج الفلاح • وعلى العكس من ذلك فان النظام الاقتصادى الحديث يقوم على أساس نظام الميزانية ، ولا يمكن أن يقوم على مجرد الملاحظة المباشرة والتقدير المباشر اللذين اعتمد عليهما الحرفى فى العصور الوسطى فان من الممكن الآن أن تقوم المادة الخام ، والآلة ، والعمل والانتاج بما يقابلها من المال ، ومن ثم يمكن المقارنة بينها ، فكل المتغيرات الاقتصادية قابلة للتكميم •

ويرى فروم ان هذا الاتجاه قد امتد الى مجال علاقات الانتاج • ففى علاقته بملايين المستهلكين، والآلاف حملة الاسهم ، والآلاف من العمال والموظفين ، وأمام ضرورة حساب أوزانهم وتأثيرهم فى عملية الانتاج ، يميل صاحب العمل الى النظر الى الآخرين كارقام حتى يستطيع ان يحسب تكاليف العملية الاقتصادية والعائد منها وان يتنبأ باتجاهاتها ، وأن يتخذ قرارات •

ويدعم الميل الى التكميم والتجريد تقسيم متزايد للعمل • ففى حين كان يوجد تقسيم للعمل فى كل نظام اقتصادى ، فان عملية تقسيم العمل فى ظل النظام الرأسمالى المعاصر قد بلغت من التعقد حدا يجعلها تختلف اختلافا نوعيا عن عملية تقسيم العمل فى العصور السابقة • فالعامل فى المجتمع الرأسمالى المعاصر لا يرتبط بمنطق الانتاج ولا أهدافه بأى شكل من الأشكال ، بل تقتصر علاقته بالمشروع على اداء عمل متخصص محدود وتقاضى أجره على ذلك •

ومع ان شيئا من التكميم والتجريد ضرورى للتفكير والعمل الانسانى ، فانهما قد بلغا فى المجتمع الرأسمالى المعاصر حدا أفقد الاشياء والناس معناهم الحقيقى ، وحولهم الى مجرد أطراف فى معادلات الانتاج والاستهلاك ، فلم تعد للناس قيمة فى حد ذاتهم ، بل اصبحوا يعاملون على أساس ما يساويه كل منهم •

ويمضى فروم الى مناقشة ما يعتبره الموضوع الاساسى فى تأثير الانتاج الرأسمالى على الشخصية، ونعنى به ظاهرة الاغتراب alienation الذى يعرفه بانه « ذلك النوع من الخبرة الذى يخبر الانسان نفسه فيه على انه غريب ، فهو غريب عن نفسه ، اذ انه لم يعد يخبر نفسه على انه مركز العالم ولا على انه خالق أفعاله ، وهو غريب عن الآخرين لا يحس بارتباط عضوى بهم » •

ويختلف الاغتراب فى صوره ودرجته من حضارة الى أخرى • فاغتراب الانسان فى المجتمع الرأسمالى المعاصر شامل تقريبا ، فهو يشمل علاقة الانسان بعمله ، الذى لم يعد له معنى ، وبالاشياء التى يستهلكها ، والتى أصبحت منمطة لا تقاس على قدّ حاجته ، وبالدولة التى لم يعد له دور حاسم فى توجيه ادائها ، وبالآخرين ، وبنفسه •

لقد أصبح العامل فى الصناعة مجرد اداة يخضع لادارة توجيهية فى كل مجالات نشاطه ، فهى التى تحدد له مكانه الذى يجلس فيه ، والطريقة التى يجلس بها والاسلوب الذى يتحرك به ، وتسلبه حقه الطبيعى فى ان يفكر ويخطط ويتصرف • وليس « المدير » فى نظر فروم ، أقل اغترابا من العامل • فهو لا يحس بمعنى نتائج عمله • وكل وظيفته انه يشغل رأس المال الذى

يملكه غيره • وهو ايضا يتعامل مع قوى عملاقة : نظام المنافسة ، والسوق ، والمستهلك ، واتحادات العمال ، والحكومة ، يحس بالضعف بازائها • ويرتبط بموضوع الادارة ظاهرة من اهم ظواهر الاغتراب فى نظر فروم ، وهى البيروقراطية فى مجالاتها المختلفة • فالبيروقراطى ، وهو ضرورة حضرية ملحة ، هو اخصائى فى ادارة الناس والاشياء ، وعلاقته بهم هى علاقة اغتراب تام لانه رسمى (شكلى) فى تعامله معهم ، لا يشعر نحوهم بحب ولا كراهية • ولا يختلف موقف صاحب رأس المال من العمل عن موقف البيروقراطى منه ، فهو اغتراب مطلق اذ لا يتعدى علاقته فى معظم الاحيان شهادة حق الملكية •

ويرى فروم ان عملية الاستهلاك لا تقل اغترابا عن عملية الانتاج • اذ يستطيع الانسان ان يحصل على المال ، وهو ضرورى للاستهلاك فى المجتمع الرأسمالى ، بغير عمله أو جهده ، عن طريق الوراثة والغش والحظ • وحتى اذا كان الانسان يحصل على المال بجهده ، فان الصورة التى ينظم بها ذلك تجعل العمل وسيلة للتبادل ، لا قيمة فى حد ذاته •

ولايرتبط الاقتناء والاستهلاك ، بمعنى استعمال الشىء فعلا ، بالضرورة ، ففى الاستهلاك المظهرى يقتنى الانسان اشياء لا يستعملها ولا يحس بان لها أية قيمة سوى ما تخلعه عليه من مركز اجتماعى، وهذا لا يرتبط بوظيفتها الاصلية • تحول الاستهلاك، اذن ، من استهلاك وظيفى لضروريات، الى استهلاك لارضاء حاجات وهمية خلقتها عملية دعاية وتأثير مركزة وماكرة ضخمة ، ومن ثم فقد علاقته بحاجات الانسان الحقيقية •

ويرتبط الاغتراب فى الاستهلاك ، فى رأى فروم ، بالاغتراب فى العمل وقت الفراغ • فلم يعد الانسان حرا فى اختيار الطريقة التى يستعمل بها وقت فراغه ، وانما هو يستعمله بالطريقةالتى تخدم « المجتمع الاستهلاكى » وبدون ارتباط حقيقى بحاجته هو • فان جميع مواد التسلية والترويح والمواد الثقافية تنتج بحيث تحقق لصاحب رأس المال ربحا دون حدود •

الا ان أهم صور اغتراب الانسان فى المجتمع الرأسمالى المعاصر هو اغترابه عن نفسه • فلم يعد الانسان يخبر نفسه على انه ايجابى وقادر ، وانما على انه مسير بفعل قوى طاغية مجهولة لا يعلم عنها شيئا • فهو يخبر نفسه على انه اداة ، رقم ، وأصبح تصور الانسان لذاته مجرد ترجمة لقيمته فى السوق بنجاحه وقيمته المتبادلة •

وبعد ان فرغ فروم من مناقشة اغتراب الانسان عن نفسه وعن الآخرين فى عمليات الانتاج والاستهلاك وقضاء وقت الفراغ ، يناقش ابعادا أخرى فى عملية الاغتراب • أولها موقف الانسان المغترب من السلطة ، وهو يعتقد انها قد تحولت من سلطة صريحة فى العصور الوسطى الى سلطة غير صريحة ، فلم يعد أحد يلتزم بما يوحى اليه فكره وقيمه الاخلاقية ، ولكنا جميعا مسايرون conformists كأكثر ما يكون الناس مسايرة ، فى مجتمع تسلطى • وهذا يبدو فى كل وقت وفى جميع مجالات الحياة •

والميكانيزم الذى تعمل بواسطته السلطة غير الصريحة هو المسايرة conformity • فالمبدأ الموجه هو : « علىّ أن أتصرف كما يتصرف

الآخرون » . وقد بلغ هذا حدا غطى معه جميع جوانب الانسان . ويؤدى هذا الميكانيزم الى تقنين الذوق والقدرة على الحكم ، والغاء التوازن بين العام والخاص فى حياة الناس ، واقامة العلاقات الشخصية لا على اساس تقدير الناس بعضهم لبعض، بل على أساس العلاقات المكانية .

ويقول فروم انه لا يهم فى هذا الصدد ما صارت اليه الاوضاع فى المجتمع الرأسمالى المعاصر بقدر ما يهم استجابة الناس لهذا الوضع. فهم يبدون رضاء كاملا وتقبلا تاما لهذا النوع من الحياة .

وكما يتطلب نظام علاقات الانتاج الجديد التوافق السريع مع الآلة والسلوك المقنن، والطاعة العمياء للسلطة، يتطلب المجتمع الاستهلاكى انتشار مبدأ الاشباع العاجل لكل الحاجات وعدم احباط أية رغبة ، ويستوى فى هذا جميع الحاجات والرغبات الانسانية . وهذا ما عبر عنه احد شعارات المراهقين فى كتاب ألدوس هاكسلى « عالم جديد جرىء » Brave New World لا تؤجل الى الغد متعة تستطيع الحصول عليها اليوم » . غير أن النتيجة التى أدى اليها هذا الانطلاق هى نفسها التى يؤدى اليها الكف والاحباط ، وهى تحطيم الذات .

ويعود فروم بعد ذلك الى مناقشة طبيعة العمل فى المجتمع الرأسمالى . فيشير الى ان العمل المنتج هو من أخص خصائص الانسان حتى ليمكن ان يعرف الانسان بانه « الحيوان الذى ينتج » . وتأتى أهمية العمل المنتج من أنه حرر الانسان من الاعتماد المطلق على الطبيعة ، ومكنه من أن يغيرها ويغير ونفسه . وحتى العصور الوسطى كان العمل ليس فقط نشاطا مفيدا ، ولكنه كان ايضا قيمة فى حد ذاته ومصدر ارضاء نفسى عميق . أما الآن فقد أصبح العمل مجرد واجب والتزام ، وهو وسيلة لغاية ولا معنى له . فهو مصدر العيش الوحيد للغالبية العظمى من الناس . ونظرا لفقدان العلاقة بين العامل والعمل نفسه ، فقد أصبح العمل مجرد أداء مجموعة من الحركات والافعال التى لم يمكن حتى الآن ابتكار آلات لادائها . ولهذا أصبح العمل مصدر ضيق وضجر شديدين، نتج عنهما ميل الى الكسل وعداء تجاه العمل وكل ما يرتبط به .

والديمقراطية ، التى ظن الكثيرون انها ستحل مشكلة اخضاع عملية حكم الناس لسلطتهم عن طريق الانتخاب الحر المباشر ، أصبحت خرافة . ذلك لأن كثيرا من الناس لا يجدون من الحماس ولا من الفرصة الحقيقة ما يدفعهم الى المشاركة فى مسرحية الانتخابات ، ولان الأحزاب السياسية لم تعد تختلف عن المشروعات التجارية كثيرا .

ويختم فروم هذا التحليل الخصب الممتع بمناقشة تأثير الاغتراب على الصحة العقلية. وينتهى الى انه يؤذيها ويؤدى الى التعاسة والانقباض اللذين يتجليان فى كل ضروب النشاط الانسانى .

ويقول فروم ان تشخيصه لأدواء المجتمع الرأسمالى المعاصر ، وهو التشخيص الذى قدمناه على الصفحات السابقة ، ليس جديدا بأى حال من الاحوال . فهو يلاحظ ان كثيرا من المفكرين قبله (مثل بركهارت ، وليوتولستوى ، وبرودون، وبودلير ، وتورو ، وجاك لندن، وكارل ماركس) قد قدموا تشخيصات عديدة لادواء المجتمع الرأسمالى الحديث ، حتى قبل ان تبلغ مشاكله

الدرجة من الخطورة التى بلغتها الآن • ويلاحظ فروم وجود ملامح مشتركة عديدة بين كل هذه التشخيصات • فكلها تقوم على اساس تصور ديني ـ انسي religious-humanistic للطبيعة الانسانية والتاريخ ، وكلها تحمل نقدا مريرا لوضع الانسان فى المجتمع الرأسمالى المعاصر ، ومعظمها ينتهى الى التشاؤم بالنسبة لمصيره •

ولكن تشخيص فروم يتميز عن المحاولات التى سبقته بقيامه على أساس مفهوم « الاغتراب » ، ومحاولة الكشف عن العلاقة بين الاغتراب والنظرة الانسية humanistic للطبيعة الانسانية والصحة العقلية •

وتأتى بعد هذا الى القسم الثالث من كتاب ايريك فروم ، ويناقش فيه طريقة حل أزمة العصر • ويبدا فروم بعرض الحلول التى قدمها المفكرون الذين سبقوه والتى تقوم ، شأنها شأن تحليلاتهم لأزمة العصر ، على أساس انسى • ويناقش فروم ثلاثة منها : أولها الاستبداد ، والثانى الرأسمالية المتطورة ، والثالث الاشتراكية •

ويرى فروم ان النظم الاستبدادية ، ومنها الفاشية والنازية وما اسماه هو الستالينية ، وكلها تقوم على دعاوى زائفة ، تقدم ملاذا للانسان المغترب ، الذى طحنه الفقر ، وهدته الحروب ، وروعة الخوف من مستقبل لا يملك القدرة على السيطرة عليه• ويعتقد فروم ان مثل هذه الحركات فى تاريخ المجتمع الرأسمالى لم تفلح فى حل أزمة الانسان الغربى المعاصر ، بل انها لم تحاول حلها على الاطلاق •

وعلى النقيض من هذا ، يرى بعض أصحاب الأعمال أن حل أزمة العصر يكمن فى تدعيم النظام الرأسمالى وتطويره • هم يسلمون بمعظم الانتقادات التى وجهت للمجتمع الرأسمالى الصناعى المعاصر ، وبخاصة استغلال الانسان للانسان والاغتراب ، ولكنهم يرون المحافظة على أسس النظام الرأسمالى : الحرية الاقتصادية والمنافسة ، والربح • ذلك لأنهم يعتقدون « أن الانانية هى القوة الدافعة التى تجعل الجنس البشرى ما هو ، بخيره وشره ، وأنها القوة التى يجب أن يعتمد عليها اذا كان للجنس البشرى ان يتقدم على حد قول احد رجال الاعمال الامريكيين. وهم يرون أن تطوير نظام الحوافز المادية يساعد فى حل كثير من مشاكل العمل • ويختلف نظام الحوافز هنا ، وهو يقوم على فكرة المشاركة فى الربح ويجعل العامل رأسماليا صغيرا ، عن نظام الحوافز فى الرأسمالية التقليدية •

أما الطريق الثالث لحل أزمة العصر ، فى نظر فروم ، فهو الاشتراكية، وهى عنده ما زالت مجرد رؤى نظرية بالرغم من وجود نظم حكم عديدة فى مختلف انحاء العالم ذات برامج اشتراكية • ويشير فروم بادىء ذى بدء الى التحيزات العديدة التى تؤثر فى مناقشة الاشتراكية الماركسية ، والتى تبدو أحيانا فى ربط الفكرة الاشتراكية بأفكار مثل « المادية » و « العنف » ، وهذا بالرغم من أن معظم من يفعلون هذا لم يقرأوا أعمال ماركس والماركسيين مثلا •

ومع التسليم بوجود خلاف فى الرأى بين مختلف مدارس الفكر الاشتراكى، فان بينها جميعا ملامح مشتركة أساسية كثيرة • يؤرخ فروم ظهور الاشتراكية بفترة الثورة الفرنسية على أيدى بابوف ويناقش اسهامات شارل فوريه، ثم روبرت

أوين ، وبرودون وبيتر كروبتكين ، ويشتركون جميعا فى تأكيد أهمية الميل الفطرى فى الانسان الى التعاون .

أما الماركسية ، أو الاشتراكية العلمية ، وهى التى سادت الفكر الاشتراكى منذ عهد لينين فهى فى رأى فروم أكثر ثراء من الاشتراكيات السابقة، ويرى الماركسيون أن أصل أزمة العصر هو الانسان . فليس تاريخ العالم سوى خلق للانسان واغترابه فى الوقت نفسه . ويبدأ تحليل المجتمع وحركة التاريخ عند ماركس من الانسان ، لا كفكرة مجردة بوصفه الانسان الحى بخصائصه الفسيولوجية والنفسية . وهدف التغير الاجتماعى عنده هو تحقيق انسجام جديد بين أفراد الجنس البشرى وبين الانسان والطبيعة ، وهى غاية لا يمكن ان تتحقق الا بازالة الظروف التى أدت الى اغتراب الانسان واستغلاله ، ظروف المجتمع الرأسمالى . ولن يتحقق هذا فى نظر ماركس بغير الثورة التى تطيح بالنظام الرأسمالى وتخلق علاقات انتاج واستهلاك جديدة .

وفى رأى فروم أن الاشتراكية الدارجة vulgar communism هى التى تنسب الى ماركس أفكارا غريبة على مذهبه ، مثل تفسير الظواهر الاجتماعية فى ضوء العامل الاقتصادى ، بمعناه الدارج أيضا . وفى هذه النقطة بالذات ، فكرة المادية التاريخية ، تكمن أهم اسهامات كارل ماركس . ففى رأى ماركس أن الانسان لا يمكن أن يشغل نفسه بأى نشاط ثقافى قبل أن ينتج ما يضمن له وجوده . وتتحدد أساليب الانتاج والاستهلاك بعدة ظروف ، تحدد بدورها النظام الاجتماعى السياسى ، وأساليب الحياة . وفى الاشتراكية الدارجة ، وكذلك التفسيرات المدسوسة على الاشتراكية العلمية ، ينسب الى ماركس القول بأن الدافع الى الكسب هو أهم دافع للانسان . فى حين أن ماركس استعمل العامل الاقتصادى كمتغير اجتماعى (سيوسيولوجى) لا كمتغير نفسى . وكانت مادية الرأسمالية من أهم نقائصه فى نظره .

ويختم فروم مناقشته لمذهب ماركس بثلاثة انتقادات هامة . أولها اغفال ماركس للعامل الأخلاقى فى الانسان ، وثانيها تفاؤل ماركس المفرط بالنسبة لتحقيق الاشتراكية ، وآخرها اعتقاده بأن تأميم وسائل الانتاج ليس فقط شرطا ضروريا بل هو أيضا شرط كاف لتحقيق الاشتراكية . ويرد فروم هذه الأخطاء الى ان مؤسسى الاشتراكية العلمية ماركس وانجلز ، جاءا من الطبقة الوسطى وتأثرا بتحيزاتها ، والى أن من جاءوا بعدهما خضعوا لهما بشكل لم يساعد على تطوير النظرية وانمائها .

يبقى بعد ذلك الحل الذى يقترحه فروم لأزمة العصر ، وهو ما خصص له الفصل الثامن من الكتاب وعنوانه « الطرق الى السواء » Roads to Sanity ويعتقد فروم ان الازمة ، حتى فى القرن الماضى ، لم تكن مجرد عدم الاهتمام بالرفاهية المادية للعمال ، وانما هى أيضا ، وفى المحل الاول، استغلال صاحب العمل للعامل الذى أدى الى أغترابهما . ومن هنا فلم يكن التركيز فى حل الازمة على الحرية السياسية وحدها ، أو الحرية الاقتصادية وحدها ، بالحل الناجح ، اذ لا بد من الاهتمام بجميع ابعادها . ولا يهم فروم ان يكون التغير بطيئا تدريجيا أو سريعا فوريا بقدر ما يهمه ان يكون واقعيا وقادرا على ان يصل الى أعماق المشكلة .

ويرى فروم ان الشروط اللازمة لحل أزمة الفرد المريض وهى :

(أ) تبلور الأزمة فى شكل صراع .

(ب) الوعى الأليم .

(جـ) تغيير نظام حياة الفرد ، هى نفسها الشروط اللازمة لحل ازمة المجتمع المريض . وقد عالج فروم النقطتين الاوليين فى الفصول السابقة، وبقيت النقطة الأخيرة ، وهى مناقشة التغييرات التى يلزم احداثها فى الأبعاد الاقتصادية ، والسياسية، والحضارية لحياة الانسان المعاصر .

والمجتمع السوى فى نظر فروم هو ذلك المجتمع الذى لا يستغل فيه الانسان لتحقيق مصالح انسان آخر ، هو المجتمع الذى يكون هدفه تحقيق انسانية الانسان وتوجيه كل طاقاته وأنشطته لتحقيق هذا الهدف ، والذى يسمح لكل فرد بان ينشط ويسهم فى اثراء الحياة الاجتماعية وتطويرها ، والذى يهتم فيه الأفراد بالمشاكل الاجتماعية قدر اهتمامهم بمشاكلهم الخاصة . فكيف يمكن خلق هذا المجتمع ؟

يبدأ فروم بمناقشة التغييرات الممكنة فى المجال الاقتصادى . وعنده ان من بين الحلول الممكنة لأزمة العصر : التسلطى ، والرأسمالى المتطور ، والاشتراكى ، فان الحل الأخير هو وحده البناء ، بمعنى أنه وحده القادر على ان يواجه أزمة العصر ويحلها . ولكن ، لماذا فشلت التجارب الاشتراكية العديدة فى حل الأزمة ؟ يقول فروم ان الحل الماركسى قد قام على أساسين : أولهما تأميم وسائل الانتاج والتوزيع ، والآخر التخطيط الاقتصادى. وكان من رأى الماركسيين أن تحقيق هذين التحولين كفيل بأن يحل الأزمة ، أى بأن يخلص الانسان من الاغتراب ويخلق مجتمعا غير طبقى. غير أن التجارب العملية للحل الاشتراكى فى مناطق مختلفة من العالم لم تحقق الامل الذى عقد عليها .

ولكن اخفاق التجارب الاشتراكية فى تحقيق أهدافها فى نظر فروم لا يعنى ان الحل الاشتراكى فى حد ذاته عاجز عن حل أزمة العصر ، وانما يعنى ان تطبيقات الحل الاشتراكى لم تسلم حتى الآن من القصور . ولهذا يقترح فروم ما يسميه « الاشتراكية التعاونية » communitarian socialism

وفى حين يركز الماركسيون اهتمامهم على الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج كأول خطوة للتطبيق الاشتراكى ، يهتم فروم ، شأنه شأن أتباع اوين ، وغيرهم من الاصلاحيين، بوضع العامل فى عمله وعلاقاته برفاقه ورؤسائه . ويعرف فروم الاشتراكية التعاونية بانها « تنظيم الصناعة بحيث يكون كل عامل عضوا نشيطا مسئولا ، ويكون العمل جذابا وذا معنى، ويستثمر العمل رأس المال وليس العكس » وفى هذا النظام لا تهم مشكلة الملكية بقدر ما يهم نظام العمل والعلاقات الانسانية فيه .

وقبل ان يعرض فروم المقترحات العملية لتحقيق « الاشتراكية التعاونية » يناقش بعض الاعتراضات التى وجهت اليها . ففيما يتعلق بطبيعة العمل يقال ان فكرة جعل العمل أكثر جاذبية ومعنى هى حلم رومانتيكى انتهت بانقضاء العهد قبل الصناعى . فالمفروض ، فى نظر اصحاب الاعتراض ، ان نجعل العمل اكثر آلية more mechanised وبالتالى أقل جاذبية . وبالرغم من أن هذا الاعتراض يبدو معقولا ، فان

كثيرا من الشواهد تشير الى انه بعيد عن الصواب، فان الامعان فى تقسيم العمل ، والميكنة الشاملة والتخطيط التام له ، لن تؤدى الى حل مشاكل العمل • اذ تشير دراسات عديدة الى ان نظام الانتاج على نطاق واسع لم يساعد فى رفع معدلات الانتاج ، وخفض معدلات غياب العمال وعدم رضاهم عن العمل ، بل على العكس من ذلك ، عقد عملية الانتاج وأبرز التكاسل ، وقضى أو أوشك أن يقضى ، على الدافع الى العمل • ولم يفد فى حل هذه المشاكل الأخذ بنظم الحوافز المادية ، وذلك لأنه لم يصب المشكلة الاساسية ، وهى وضع العامل فى العمل وعلاقاته برفقه • لقد نجح نظام الحوافز فى بعض الاحيان فى استثارة حماس العامل للعمل ، وفى رفع معدلات الانتاج، ولكن ذلك شىء ، وجعل العمل يساعد فى تحقيق الصحة العقلية والسعادة للعامل شىء آخر •

ويختلف فروم مع أولئك الذين يرون أن العمل الصناعى الآلى لا يمكن أن يكون ذا معنى ولا أن يحقق الرضا والسعادة للعامل ، وانه لا سبيل الى تغيير هذا الواقع الا بالتخلى عن الانجازات التكنولوجية التى تحققت • اذ يفرق فروم بين الجوانب النفسية وبين الأبعاد الاجتماعية فى العمل ، ويرى أنه فى حين أن من غير الممكن تغيير طبيعة العمل التى تبعث على الضجر والملل فان من الممكن تحقيق مناخ اجتماعى فى بيئة العمل يجعله ذا معنى ومصدر اشباع • والدراسات فى هذا المجال عديدة ، وأشهرها دراسات التون مايو ، وجورج فريدمان ، وكذلك تجارب التعاونيات التى طبقت أفكار أوين ، والمينونايتس والهترايتس ، وغيرها • وكلها تقطع بأن التكاسل والتعب وانخفاض الروح المعنوية ، وما يترتب عليها من انخفاض معدلات الانتاج ، لا ترجع الى طبيعة العمل فى المحل الأول وانما تنتج العلاقات الانسانية فيه •

ثم يقدم فروم مقترحات عملية لتحقيق ما اسماه بالاشتراكية التعاونية وفيها تمتزج المركزية باللامركزية بشكل يسمح للعامل بأن يشارك مشاركة ايجابية فى تحمل مسئولية العمل ، ولا يتعارض مع وجود قيادة تقتضيها الضرورة • ويرى فروم أن أهم شرط لتحقيق المشاركة الايجابية للعامل فى العمل هى أن يكون ملما ليس فقط بطبيعة عمله ، بل بالمشروع كله ، وان يكون له تأثير فى اتخاذ القرارات التى تؤثر عليه وعلى المشروع • اذ أن من الممكن ان يقل اغترابه حين ينتهى استغلال رأس المال له ويصبح هو متحكما فى رأس المال • والصورة العملية لتحقيق هذا الوضع هى الادارة المشتركة co-management للعمل بواسطة أصحاب رأس المال والعمال •

ويفرض تطبيق مبدأ الادارة المشتركة ، فى نظر فروم ، قيودا على حق الملكية • هو لا يلغيه ولكنه ينظمه ، وذلك عن طريق دخول العمال ، من خلال اتحاداتهم كما نادى تانبوم ، شركاء فى المشروع • وبهذا الاجراء ، فى نظر فروم ، يمكن احداث تغيير جذرى فى نظام الانتاج بغير طريق الثورة • وليس الغرض من هذا الاجراء ، بالطبع، مجرد تحقيق كسب مادى ، وانما هو تغيير طبيعة العمل بحيث يتحقق الرضا والسعادة للعامل ، وفى رأى فروم أن طريق الاشتراكة التعاونية لا ينفى، بالضرورة ، امكان تأميم بعض المشروعات أو تدخل الدولة فى بعضها الآخر ، ولكنه يعنى ان المشكلة ليست مشكلة حق الملكية بقدر ما هى مشكلة العلاقات الانسانية •

ويأتى بعد هذا تصور فروم للتغيرات اللازمة فى مجال السياسة لحل الأزمة ، وهنا يلاحظ أن الايمان بأن الديمقراطية يمكن أن تتحقق فى ظل الظروف الراهنة فى المجتمع الرأسمالى الغربى هو مجرد وهم ، فالواقع المرير هو ان الانسان المعاصر ضحية يستغل لغير صالحه . ويعتقد فروم ان ممارسة الديمقراطية الحقة لا يمكن ان تتحقق الا فى ظل ظروف معينة : أولها ان تتم من خلال انتخابات فى جماعات صغيرة ، مجتمعات محلية صغيرة لا يزيد حجم الواحد فيها على ٥٠٠ شخص مثلا ، تناقش فيها المسائل بافاضة وبحرية مطلقة بعيدا عن المشروع والضغط . والثانى أن يكون لدى المواطنين من الحقائق عن الظروف التى تحيط بهم ما يسمح لهم باصدار احكام رشيدة . والأخير ، ان يكون لما تراه الجماعات الانتخابية الصغيرة تأثير فى مجرى الاحداث التى تهمها .

وتبقى بعد ذلك ما اسماه فروم بالتغيرات الحضارية التى يتطلبها حل أزمة العصر . وهنا يرى فروم انه ليس ثمة حاجة الى مثل جديدة فقد قدم « معلمو البشرية العظام » ، على حد تعبيره ، من القيم ما يكفى لتحقيق حياة سوية . ويبقى التخطيط لتربية رسمية وغير رسمية فعالة للصغار والكبار على السواء ، هدفها توفير أنسب الظروف لتحقيق كل امكانيات الانسان، لاتشكيله بحيث يكون مسايرا .

ملاحظات على الكتاب :

لا خلاف على أهمية المشكلة التى تعرض لها ايريك فروم فى هذا الكتاب وثقل وزنها فى الفكر المعاصر ، ولا على الشمول والنظرة الفلسفية التى عالجها بهما . وربما فى هاتين الخاصتين لعمل فروم تكمن قيمة الكتاب وجوانب قصوره فى وقت واحد .

فقد حرص فروم على أن يخرج من اسار النظرة الجانبية التى ترى المشكلة من زاوية علمية واحدة فتقتصر على استكشاف بعض ملامحها وتعجز عن الكشف عن أهم أبعادها ، فلجأ فى دراستها الى نظرة تركيبية من علوم اجتماعية عديدة ، بل ومزج فى دراستها بين العلم والفلسفة . ويقوم تحليل فروم للوقائع وتفسيره لها على مفاهيم نفسية واجتماعية واقتصادية فى اطار يزاوج بين العلم والفلسفة وبخاصة جوانب الأخلاق منها . وبهذا استطاع فروم أن يلقى على المشكلة ضوءا أقوى مما استطاع أى باحث متخصص ان يلقيه عليها .

غير ان الثمن الذى يدفعه المفكر فى مقابل الشمول ليس هينا ، فهو التسطح فى بعض الاحيان . فلما كان التعمق فى كل العلوم فى وقت واحد أمرا عسير المنال ، فكثيرا ما يكتفى المرء بالالمام بالاساسيات فيه ويعجز عن متابعة تطورها ونموها المستمرين . وهو ماوقع فيه فروم فى أحيان غير قليلة .

ومن جهة أخرى أضفى جمع ايريك فروم بين العلم والفلسفة والاخلاق فى معالجة للمشكلة طابعا نادرا ميزه عن الاتجاه الامبيريقى الجامد ، وأشاع فى النظر اليها روح التأمل الذى يبحث عن المعنى فى الظواهر الملاحظة . ولكن لهذا السبب نفسه ـ ضمن اسباب أخرى ـ اعترى فروم بعض الضعف وتعرضت آراؤه لنقد عنيف .

وفروم من أنصار المذهب الطبيعى ، ذو نزعة انسية . فهو يؤمن ١ ـ بأن الطبيعة كاملة ، وليس ثمة خارجها ما يعلو عليها، وان الانسان جزء منها

يخضع لقوانينها ، ٢ ـ ان معيار الخير والشر هو الانسجام مع الحاجات الأساسية للانسان • ومن رأى فروم ان الحكم بالخيرية والشر يجب أن يقوم على معرفتنا بطبيعة الانسان والقوانين التى تحكم تطورها • ويمكن ان يوجه الى فروم هذا النقد العنيف الذى يوجه الى الطبيعيين والذى يطعن فى سلامة القول بوجود معيار موضوعى للخير والشر ، فان حكم فروم يصدر عن موقف اخلاقى ذاتى لا موضوعى • ثم ان اقامة فروم للمعيار على أسس فهمنا للطبيعة الانسانية يغفل حقيقة هامة وهى ان العلوم الانسانية لم تصل بعد الى مستوى معقول فى نموها ، واكثر من هذا ، لا يبدو انها ستصل الى مستوى معقول فى المستقبل القريب •

غير ان تحليل فروم للطبيعة الانسانية فى ضوء ما أسماه « بالحاجات النفسية الأساسية » ، وهى فكرة تحتل مكانا بارزا فى كل كتاباته وبخاصة كتاب المجتمع السوى ، هو موقف وصل اليه فروم لا عن طريق دراسة موضوعية بل نتيجة موقف اخلاقى معين • فهو يقيم موقفه على أسس سيكولوجى ليس من اليسير التوفيق بينه وبين اخذه بفكرة الحتمية الاجتماعية ، التى تتضمن أن الطبيعة الانسانية تتشكل تبعا لمجموعة ظروف اقتصادية واجتماعية • وهذا مثال لتناقضات عديدة وقع فيها فروم وليس من اليسير حلها ولا اغفالها•

وفى حديث فروم عن الحاجات الانسانية الاساسية آراء لا تتفق معه عليها • مثل اعتباره القومية ، وروح الولاء التى تتطلبها ، نوعا من العبودية وهو هنا لا يميز بين الوضع فى المانيا النازية والحركات القومية البناءة فى معظم دول العالم الثالث مثلا •

فاذا انتقلنا الى تحليل فروم لوضع الانسان فى الحضارة الغربية المعاصرة صادفتنا مشكلة كبيرة • فان فروم لم يكلف نفسه مشقة الحديث عن الاسس التى أقام عليه تحليله ، ولا المنهج الذى اتبعه فيه • فبالرغم من تعدد الاحكام العامة والتعميمات ، فان فروم لم يحاول ان يوضح مبرراتها ، وان كان هذا لا ينفى البتة عمق التحليل الذى قدمه فروم ، والذى ساعده فى تحقيقه :

١ ـ اتجاهه الى النظر الى المشكلة فى اطارها التاريخى •

٢ ـ خياله السوسيولوجى الخصب وبصيرته النافذة •

٣ ـ موقفه الاخلاقى ذو النبرة الماركسية •

وبالرغم من هذا فقد أخطأ فروم حين خلط بين التقدم التكنولوجى والنظام الرأسمالى• فكثير من المشاكل التى ربطها بالنظام الرأسمالى ، كالبيروقراطية وتقسيم العمل وغيرها ، لا ترتبط بالنظام الرأسمالى وحده بالضرورة •

أما مفهوم « الاغتراب » الذى اقام عليه فروم تحليله لوضع الانسان فى النظام الرأسمالى المعاصر، فليس جديدا ، وان كان فروم ـ متبنيا الاتجاه الماركسى ـ قد أحل محل الدلالات الميتافيزيقية للمفهوم عند هيجل ، دلالات اجتماعية جعلت منه أداة فعالة للتحليل السوسيولوجى • فقد خلص المفهوم من اسار المعانى الوجودية ليضمنه دلالات واقعية عن طبيعة العمل والعلاقات الاجتماعية • وبالاضافة الى هذا فقد وسع دلالات المفهوم ليشمل أبعادا لم ترد عند ماركس ، كالاغتراب فى الاستهلاك وقضاء وقت الفراغ على سبيل المثال•

ونأتى الآن الى الحـــل الذى يقترحـه فـروم للأزمة ، وهو ما أسـماه الاشـتراكية التعاونية . فنلاحظ أن فكرة الادارة المشتركة فى ظل النظام الرأسمالى ، على افتراض ان تحقيقها أمر ممكن، ليست حلا ناجحا بأن حال من الاحوال ، أو هى على الأقل ليست شرطا كافيـا لحل الازمة . فان نتائج التجارب التى طبقت فيها مثل هذه الافكار ، وأفكار مشابهة ، تشير الى ان ما يحدث لا يتعدى الحل الجزئى للمشكلة الاساسية ، بل انه يؤدى الى تصفية الحركات العمالية فى معظم الأحوال . أما اقتراحه بتشكيل جماعات انتخابية صغيرة فهو اقتراح وجيه ، وان كان يبدو عسير التحقيق فى مجتمعات حضارية تسود فيها العلاقات الاجتماعية الثانوية .

وهذا ينتهى بنا الى واحدة من أهم مشـكلات الكتاب . فاذا كان الانسان فى المجتمع الرأسمالى المعاصر ضحية للأوضاع الاجتماعية والاقتصـادية فى الحضارة الغربية ، فكيف يمكن أن يثور عليها ويعدلها ويغير وضعه . من أين يمكن أن تأتيه هذه الايجابية ؟ وكيف يمكن أن يصرع أوضاعا راسخة تخدم مصالح قادرة بغير الثـورة ، وهو ما دعى اليه فروم ؟ ان الاتفاق الواضح بين آراء فروم والفكر الرأسـمالى الغـربى حول ضرورة حماية حق الملكية الخاصة والدعوة للتغيرالتدريجى تثير الشبهات حول أهداف فروم الفكرية البعيدة.

ان الـروح اليـوتوبية عند فـــروم ، فى عصر البراجماتية المغالية ، هى مصدر قوة عمله ومصدر الضعف فيه فى الوقت ذاته . فنزعته الانسـانية المتفائلة ، التى تضىء شموعا ولو خافتة ، على طريق المستقبل هى نفسها التى فتحت أكثر من جبهـة لنقده على حق فى معظم الاحيان . لقد أثار فروم عددا من الأسئلة الهامة استطاع أن يصل الى أعماق بعضها ويجيب عنها ، وفشل فى استيعاب البعض الآخر فبقى على سطحه .

نص من الكتاب :

صفحتا ٣٥٦ ـ ٣٥٧ (من طبعة لندن : ١٩٥٦)

« بدأ العصر الحديث بفكرة المبادأة الفردية . وفى الحقيقة أن أصحاب الكشوف الجغرافية والعلمية بل واكتشاف العالم الجديد نفسه، وكذلك أصحاب الفلسفات الحديثة والنظريات السـياسية وفلاسفة الثورات الانجليزية والفرنسية والامريكية ، ثم رواد الثورة الصناعية ، وحتى أصـحاب صناعة المطاط قد عبروا عن مبادأة فردية فذة . غير ان المبادأة الفردية اخذت تضعف تدريجيـا مع تقدم الرأسمالية وتعقد الادارة والامعان فى البيروقراطية. اذ لا مجال للمبادأة الفردية فى البيروقراطية، كما انه لا مجال لها فى شخصية المسير . والدعوة الى بعث المبادأة الفردية فى ظل النظام الرأسمالى هى دعوة غير واقعية ، ان لم تكن شعارا خادعا يستعمل كسلاح ضد دعاوى الاصلاح القائمة على أسـاس بعث المبادأة الفـردية الحقـة . لقد بدأ المجتمع الحـديث برؤيا خلق حضـارة يمـكن ان تشبع حاجات الانسان ، واتخذ من بين أهدافه تحقيق الانسجام بين الفـرد والحاجات الاجتماعية وحل الصراع بين الطبيعة الانسانية والنظام الاجتماعى. وقد ظن البعض ان من الممكن تحقيق هذا الهدف بأحد طريقين : الزيادة المطردة فى الانتـاج التى تسمح باشباع حاجات كل فرد ، وتصور عقلانى موضوعى للانسان ولحاجاته الحقيقية. وبعبارة أخرى كان هدف الانسان المعاصر خلق مجتمع سوى . ومعنى هذا بعبارة أدق ، خلق مجتمع يبلغ أفراده

من الرشد والموضوعية حدا يسمح لهم بان يروا أنفسهم ، وغيرهم ، والطبيعة على حقيقتها، وبصورة لا تشوشها النزعات النكوصية ولا الخوف المرضى. كانت تعنى خلق مجتمع يبلغ أفراده من الاستقلال حدا يسمح لهم بالتمييز بين الخير والشر، ويمكنهم من ان يختاروا بحرية ، ويسمح لهم بأن تكون لديهم اعتقادات وليس مجرد آراء ، عقيدة وليس مجرد خرافات أو آمال طفلية كانت تعنى خلق مجتمع لدى افراده القدرة على ان يحبوا أطفالهم وجيرانهم وكل الناس ، وانفسهم ، والطبيعة ، ويمكن ان يشعروا بالوحدة مع الكل ، وفى الوقت نفسه ان يحتفظوا بشعورهم بتفردهم ، كانت تعنى خلق أشخاص يعلون على الطبيعة بالخلق وليس بالتدبير .

« وقد فشلنا حتى الآن فى بلوغ هذا الهدف . ثم تعبر الهوه بين الاقلية التى حققت كل اهدافها وتحاول أن تعيش وفقا لها ، والاغلبية المتخلفة التى ما زالت تعيش فى العصر الحجرى ، فى ظل التوتمية وعبادة الاصنام ، والاقطاع » .

« فهل يتحقق السواء بالنسبة للاغلبية ، أم ستستعمل الاكتشافات الخطيرة التى توصل اليها العقل الانسانى لبلوغ اهداف لا عقلانية وغير سوية ، هل سنفلح فى خلق رؤى للحياة الخيرة السوية التى تستثير قوى أولئك الذين يخشون السعى قدما ؟ لقد بلغت الانسانية ، هذه المرة ، نقطة قد تكون الخطوة الخطأ فيها هى آخر الخطى » .

المطبعة الثقافية
رقم الايداع بدار الكتب ٢٢٤٦/١٩٧٠